المحاضرة الرابعة: الشعر في صدر الإسلام (شعر الفتوحات)

1- الإسلام و الشعر:

يرى بعض النقّاد أنّ الاهتمام بالشّعر قد قلّ بعد الإسلام، وأنّ الشّعراء انصرفوا عنه، فضعف مستواه. وأرجعوا ذلك إلى الأسباب التّالية:[1]

١ - إنّ المسلمين شغلوا بالقرآن الّذي أدهشهم أسلوبه، وبهرهم إعجازه، ممّا صغّر الشّعر في عيونهم.

٢ - محاربة الإسلام لنوازع الشرّ الّتي تثير النّفوس، وتبعث الحميّة، وتدفع إلى قول الشّعر. لأن الشّعر - كما يرون - نَكِد لا يقوى إلّا بالشرّ، فإذا أدخلته في باب الخير لانَ.

٣ - طبيعة الدّعوة الإسلاميّة الّتي تعتمد على المجادلة والمنطق والإقناع، لم يكن يناسبها الشّعر.

٤ - إنّ بعض الشعراء شُغلوا عن الشّعر بالجهاد في سبيل الله.

٥ - حملة القرآن الكريم على الشعراء وذلك في قوله تعالى: ﴿**والشّعراء يتّبعهم الغاوون، ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون، وأنّهم يقولون ما لا يفعلون، إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾.

٦ - إنّ النبي - عليه السّلام - لم يهيء لعامّة الشعراء مكاناً رحيباً في كنفِه، لِما كانوا عليه في شعرهم من مذاهب لا يقرّها الدّين، فكفّ بعضهم عن قول الشّعر.

غير أنّ دارسين آخرين نقضوا الأقوال السّابقة، وذهبوا إلى أنّ تيّار الشّعر ظلّ متدفّقاً في عصر النبوّة والخلفاء الرّاشدين، وأنّه تهيّأت له كثير من العوامل الّتي استدعت القول فيه، و الإكثار منه.

---

[1] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص33،34.

2- شعر الدعوة الإسلامية:

اضطلع الشّعر في عصر النبوّة والخلفاء الرّاشدين بدور كبير في الانتصار للدّعوة الإسلاميّة وتأييدها[1]، وقد حثّ الرسول - ﷺ - شعراء الإسلام على أن ينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم، فقد رُوي عنه أنّه قال: ألا رجل يردُّ عنّا؟ قالوا: يا رسولَ الله، حسان بن ثابت، قال: آهْجهمْ، فوالله لهجاؤك أشدّ عليهم من وقع السّهام. وخاطب النبيّ عليه السلام شعراء الإسلام: اهجوا بالشّعر، إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والّذي نفس محمّد بيده كأنّما تنضحونهم بالنّبل.[2]

وقد تنوعت الموضوعات التي تطرق إليها الشعراء في نصرتهم للدعوة الإسلامية حيث زاد الاسلام في أغـــــراض الشعـــرية و نقـــص؛ " فأما الذي زاده فهـــــو الإكثـــــار من الحكمة وضرب المثل لكثرة ماورد من هذين فى القرآن وللحصافة التى صار عليها عقل العربى من دراسة الدّين . وللتجاريب التى استفادها فى حياته العملية الناشطة . كلّ أولئك أجرى لسانه بالحكمة وأحضر أمامها صورة المثل ."[3]

وأما ما نقص فهو " ما أبطله الإسلام من وصف الخمر لأنه حـــــرم شـــــربها و في وصفها دعوة إليها . كذلك الغزل الفاحش الذى يتناول اسم محبوبة بذاتها و يصف لقاءها والخلوة بها مما لا يبيحه الشارع إلا فى زواج شرعى ."[4]

3- شعر الفتوح الإسلامية:

واكب الشعر العربي حركة الفتوح الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين، فقد تغنى الشعراء بهذه الفتوح، وافتخروا بالانتصارات العظيمة على الفرس و الروم، و صوروا شجاعة الأبطال الفاتحين و تضحياتهم، و قد حظيت فتوح فارس، ولاسيما معركة القادسية، بحظ وافر من الشعر، إذ شهدها عدد من الشعراء المجاهدين الذين كان لهم بلاء حسن في قتال الفرس[5]

---

[2] المرجع نفسه:ص35.
[3] محمود مصطفى: الأدب العربي و تاريخه، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1937، ج1، ص98.
[4] المرجع نفسه: ص100.
[5] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ص 37.

وقد شارك في الفتوح عدد كبير من الشعراء القدامى من أمثال عمرو بن معد يكرب الزبيدي وعبدة بن الطبيب، وأبي محجن الثقفي، وربيعة بن مقروم الضبي، وأبو ذؤيب الهذلي، وعمر بن شأس الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي، وعروة بن زيد الخيل الطائي، والنابغ الجعدي، والشماخ والحطيئة.[6]

4- خصائص شعر الفتوحات:

وتتمثل في:[7]

- احتوائه على الكثير من الألفاظ والمعاني القرآنية التي أخذها شاعر الفتوح من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ووظّفها في شعره، كالقَسم، والدّعاء، والقصص القرآني.
- طبعت أشعار الفتوحات بطابع الآداب الشّعبية، سواء من حيث نسيجها العام أو قائلوها ومن نُسبت إليهم، فكثير منها كانت مجهولة القائل.
-الإيجاز والقصر، ذلك أنّ شعر الفتوحات هو شعر اللمحات السّريعة والمواقف الخاطفة، وكان في أغلبه عبارة عن مقطوعات قصيرة، تخلّى فيها الشّعراء عن التقاليد الفنية في بناء القصيدة العربية.
- الوحدة الموضوعية.
- البساطة وعدم التكلّف، وذلك لما يعترض صاحبه من شواغل الجهاد التي تحول بينه وبين إطالة الفكرة وتجويد اللفظ وتنميقه.
- الالتزام، فشعر الفتوحات كان أثرا للحركة الإسلامية؛ بمعنى أنّه التزم بنشر الدعوة الإسلامية لا يحيد عنها.
- الاتّصال بوجدان المسلمين والصدور عنه، والعزوف عن تقاليد الشّعر الجاهلية.
- العفوية في التعبير، نظرا لانعدام الصقل والتهذيب والمراجعة، وبالتالي انعدام التكلّف والتصنّع.
-صدق التعبير وحرارته.

---

[6] النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص 180.
[7] مليكة حيمر: محاضرات في مقياس النص الأدبي القديم (شعر)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة59، 60.